وحدة الهجرة القسرية واللاجئين
Forced Migration and Refugee Unit

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY
معهد ابراهيم أبو لغد للدراسات الدولية
Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies

Working Paper Series – Migration and Refugee Studies Module

Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies – Birzeit University

صورة فلسطين في روايات اللاجئين الفلسطينيين: دراسة مقارنة بين مخيم قلنديا في فلسطين ومخيم اليرموك في سوريا

لورا عدوان

Laura Adwan

معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية – جامعة بيرزيت

سلسلة أوراق عمل 20/2011 (عربي) – نموذج دراسات الهجرة واللجوء

IALIIS-BZU-WPS 2011/20 (ARA)

MRS Module

Editor-in-Chief: Asem Khalil

Editorial Board: Yaser Amouri, Raed Bader, Helga Baumgarten, Youssef Courbage, Philippe Fargues, Roger Heacock, Marwan Khawaja, Ray Jureidini, Mehrene Larudee Majdi Al-Malki, Magid Shihadeh.

Design & Layout: Yasser Darwish

2011

*** Co-financed by the Ibrahim Abu-Lughod Institute of International Studies (IALIIS) - Birzeit University (BZU) & the International Development Research Centre (IDRC), Canada. The views expressed in this publication cannot in any circumstances be regarded as the official position of IALIIS, BZU or IDRC. The IALIIS can be reached at: ialiis@birzeit.edu**

Electronic copy available at: http://ssrn.com/abstract=1764258

صورة فلسطين في روايات اللاجئين الفلسطينيين:

دراسة مقارنة بين مخيم قلنديا في فلسطين ومخيم اليرموك في سوريا

لورا عدوان*

1. مقدمة

أمضيت الفترة الواقعة بين شهري تموز وكانون الأول سنة 2008 في مخيمي قلنديا في فلسطين واليرموك في سوريا، كنت خلالها أجوب أزقة المخيمين وحاراتهما وألتقي بلاجئيهما في بحثي عن الصورة الذهنية لفلسطين في روايات لاجئين ولاجئات من أجيال مختلفة، كنموذج للروايات الفلسطينية في حالتين للجوء أحداهما خارج حدود السيطرة الاستعمارية المباشرة لإسرائيل والأخرى داخلها. حاولت في هذه الدراسة تطويع أدوات البحث التي أمتلكها وافساح المجال للرواة الذين يعايشون الحدث لسرد رواياتهم عن فلسطين، باستخدام المقابلات المعمقة وبمساعدة تقنيات منهجية النظرية المتجذرة (grounded theory).[1]

لقد أدركت منذ البداية أن "فلسطين" يصعب حصرها في صورة أو مجموعة صور، لكني لغرض البحث، وبعد مراجعتي لعدد من الأدبيات والدراسات النظرية والإمبريقية في المجال، قررت تحديد الأطر التي ستشكل صورة فلسطين في هذا البحث ضمن المحاور الخمسة التالية التي ركزت حولها مشاهداتي وأسئلتي المفتوحة في المقابلات: 1) البعد المكاني الجغرافي الذي يحدده الرواة لفلسطين، 2) الشكل المادي الذي تتجلى به الصورة في حياة اللاجئين بشكل عام ومحيط المخيم بشكل خاص، 3) القيم والمعاني التي يسبغها اللاجئون على الوجود الفلسطيني، 4) البعد الزماني التاريخي الذي يتجلى في الأحداث الماضية التي يرويها اللاجئون في سردياتهم

* تختزل هذه المقالة فكرة وبعضاً من استنتاجات البحث الأكاديمي الذي أجريته لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في برنامج علم الاجتماع من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت باشراف الدكتور شريف كناعنة.

[1] قدمت شرحاً أوسع لمنهجية البحث وظروفه في الفصل الأول من تقرير الرسالة.

There are several references on 'grounded theory' and qualitative research methods, the two main references which I have used here are (Strauss and Corbin 1998) and (Charmaz 2006) they are listed in the reference's list at the end of this article.

Electronic copy available at: http://ssrn.com/abstract=1764258

حول فلسطين والمعاني التي يعطونها لتلك الأحداث اليوم ورؤيتهم للمستقبل، 5) دور الفلسطيني، اللاجىء تحديداً هنا، في المشاركة في صناعة الحدث وكتابته من خلال الروايات التي جمعتها.[2]

لم يقتصر هدف الدراسة على جمع روايات شفوية غنية من لاجئين ينتمون إلى أجيال مختلفة في المخيمين، لكنها سعت إلى فهم المؤثرات التي تسهم في تشكيل الروايات المختلفة، وذلك من خلال قراءتها في ضوء الشرط الاستعماري والظروف التي أنتجتها القوى الخارجية والداخلية المسيطرة على الفضاء الفلسطيني اليوم. والشرط الآخر الذي لا يقل أهمية هنا، هو التحول في الخطاب الرسمي الفلسطيني بعد أوسلو، والذي نقل المشروع الوطني الفلسطيني الرسمي من مشروع تحرير وعودة إلى الوطن، إلى مشروع دولة فلسطينية على جزء من الأرض، مع تأجيل بحث موضوع اللاجئين إلى أجل غير مسمى.[3] واستدعى هذا بدوره ربط روايات اللاجئين بالظروف المادية والاجتماعية والسياسية التي يعيشونها بفعل استمرار حالة اللجوء وتغييبهم من المشاريع السياسية من جانب، وبالأيديولوجيات السياسية و/أو الحزبية و/أو الفكرية المهيمنة في الحيز الفلسطيني والعربي والعالمي من جانب آخر، حيث لم يعد المخيم، في الحالتين اللتين يغطيهما هذا البحث على الأقل، جزيرة معزولة عن البيئة التي حوله، فساكنيه، كسكان محيطه، يختلطون بالمحيط المحلي في حياتهم اليومية، وبالمحيط العالمي من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وبحدود أقل من خلال المؤسسات الأجنبية العاملة في البلدين. باختصار، ينصب تركيز هذه الدراسة على الرواية–ات الوطنية الفلسطينية وتحليلها، بغية التعرف على العوامل الرئيسية التي تسهم في بناء هذه الروايات عند الفئة المبحوثة هنا، اللاجئين، خلال فترة تاريخية يسودها التخبط وعدم الوضوح في الخطابات السياسية الفلسطينية الرسمية الصادرة عن الفصائل والأحزاب الفلسطينية، خاصة تلك المتعلقة بمستقبل فلسطين بشكل عام، وبقضية اللاجئين بشكل خاص.

[2] طورت محددات صورة فلسطين في هذا البحث اعتماداً على تعريف ثوماس جييرن (Gieryn 2000) للمكان سوسيولوجياً بأبعاده الثلاثة (الموقع الجغرافي، والشكل المادي، والاستثمار في المعنى والقيمة). وبما أن وجود فلسطين كمكان في أذهان شعبها لم يتطور بالشكل الطبيعي نتيجة الحالة الاستعمارية التي كان اللاجئون أحد افرازاتها، فقد أضفت لتعريف جييرن عاملين وجدتهما أساسيين لدراسة المكان في حالة التهجير القسري بفعل استعماري احلالي، وفق ما توصلت إليه بعد مراجعة عدد من الدراسات حول الموضوع هما: التاريخ (حيث تحتل الأحداث التاريخية والسياسية التي عايشها اللاجئون حيزاً كبيراً من رواياتهم كما ظهر، على سبيل المثال، في دراسات الصايغ (1979، 1998)، موعد (2002)، حرار (2003)، القلقيلي (2004)، سرحان (2005)، بيتيت (2005)، ميعاري (2005)، علان (2007)، عمرو (2007)، يحيى (2006، 2008))، ودور الفاعل الاجتماعي في بناء علاقته مع المكان.

[3] اتفاق أوسلو هو اتفاق سلام تم توقيعه بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل في واشنطن بتاريخ 1993/9/13، سمي باتفاق إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكومة الانتقالية الذاتية، اعترفت منظمة التحرير بموجبه بإسرائيل رسمياً، ونص على إقامة سلطة حكومة ذاتيه انتقالية فلسطينية (سميت فيما بعد السلطة الوطنية الفلسطينية) ومجلس تشريعي منتخب في الضفة الغربية وقطاع غزة، ونص الاتفاق على تأجيل المفاوضات حول القضايا الخاصة بالقدس، واللاجئين، والمستوطنات، والحدود والترتيبات الأمنية إلى وقت لاحق في إطار مفاوضات الحل النهائي، كما نص على إنشاء قوة شرطة فلسطينية لضمان النظام العام في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ركزت الدراسة التي أجريتها على حالة محددة من الجماعات المُهجّرة وهم اللاجئون الذين اقتلعوا من أراضيهم سنة 1948، نتيجة لعمليات ممنهجة من التطهير العرقي كما أورد العديد من الدارسين (كناعنة 2000؛ الصباغ 2005 ؛ بابه 2007). إلا أن هذا لا يعني أن أثر الاقتلاع والتشرد اقتصر على اللاجئين فقط، فلا يزال الفلسطينيون الباقون ضمن حدود فلسطين الانتدابية، سواء في الجزء المحتل سنة الـ 1948 أو في القدس أو في الضفة الغربية وقطاع غزة، يعانون من الاضطهاد وخطر الاقتلاع والتشريد: "الاحتلال بحد ذاته وما يترتب عليه من نتائج يمكن قراءته كشرط تشتيتي (*diasporic condition*)، ومن هذا المنطلق فإن سكان الضفة الغربية وقطاع غزة يعانون من عملية اغتراب مستمرة عن الأرض" (Hanafi 2006).[4] لكن شروط اللجوء؛ أي تجربة الاقتلاع والتشريد التي عاناها اللاجئون، والتهميش الناجم عن العيش في مخيمات تختلف عن المجتمع المحيط، لا بد وأن تعمق الإحساس بالاستلاب والاغتراب، مع أن درجة الاختلاف تتباين حسب الوضع السياسي والاقتصادي للمحيط المضيف، بما يجعل بعض المخيمات تبدو للوهلة الأولى أشبه بأحياء الصفيح أو مأوى الفقراء (هذا ما لمسته بمعاينة مخيمات لبنان وبعض مخيمات غزة)، بينما تتشابه مخيمات أخرى مثل مخيم اليرموك مع الأحياء الحضرية المجاورة لها بما يتوفر فيها من خدمات وبنية تحتية وأماكن ترفيهية. وقد عبر الكثيرون ممن قابلتهم في مخيمي قلنديا واليرموك، خاصةً من الجيلين الأول والثاني، عن شعورهم بأن المخيم يعطيهم الإحساس بالأمان والحماية والقوة والانتماء. ومن الاستراتيجيات التي يلاحظها أي زائر للمخيم، قيام اللاجئين بإعادة بناء الروابط العائلية والقروية التي كانت سائدة في البلاد قبل التهجير، حيث غالباً ما يجتمع أفراد العائلة أو الحمولة وأحياناً البلد الواحدة في نفس المنطقة في المخيم وتأخذ المنطقة اسمها من اسم العائلة (حارة المواعدة نسبة إلى آل موعد من صفورية في مخيم اليرموك)، أو اسم البلد الأصلي في فلسطين (حارة ساريس أو صرعة في مخيم قلنديا، وشارع لوبية تجمع عائلة الشهابي في مخيم اليرموك والشهير بسوقه الكبير، وحارة المغاربة في مخيم اليرموك، والتي تضم عائلات من أصول جزائرية كانت تعيش في فلسطين، حين حدث التهجير في العام 1948).

بقراءة تحليلية مقارنة للمادة التي حصلت عليها من مشاهداتي في المخيمين ومقابلاتي مع المبحوثين،[5] تشكلت صور لفلسطين بنتها روايات وأصوات متعددة. فالوضع الذي يعيشه اللاجئون هو وضع كولونيالي/ استعماري بامتياز يتضمن الاستلاب والطرد والسيطرة. إضافة إلى الفروقات الناتجة عن تمايز الرواة في العمر، والجنس، والموقع الطبقي الذي يتحدد بشروط إعادة إنتاجهم لذواتهم وخياراتهم الحياتية: التعليم وفرص العمل المتوفرة للاجئ ولعائلته، وهذه جميعها تحدد بالتالي الصور والمعاني التي يركبها الرواة

[4] ورقة عمل قدمها حنفي، ساري. 2006. الورقة مقدمة في المؤتمر الدولي حول اللاجئين الفلسطينيين: واقع ومستجدات، 25 ــ 26 تشرين الثاني، في جامعة القدس ابو ديس، فلسطين .

[5] ركزت في دراستي على الجيلين الثاني والثالث من اللاجئين، أي من ولدوا خارج فلسطين المحتلة سنة 1948 أو من خرجوا منها أطفالاً –أقل من ست سنوات– إثر تهجير أهلهم، لكن الصدفة أتاحت لي اجراء ثلاث مقابلات مع راويين وراوية أكبر سناً من مخيم قلنديا بلغت أعمارهم سنة 2008، حين أجريت البحث 71، و76، و80 عاماً.

لفلسطين اليوم في ظل الصراع الثقافي/ الإيديولوجي بين إيديولوجيا الطبقات المهيمنة في المكانين وخيارات أو اختيارات الأفراد للتماهي معها أو مقاومتها إما بالتسلح بإيديولوجيات أخرى أو بقراءة جديدة للوضع الفلسطيني ولخياراتهم فيه.[6] يقدم هذا المقتطف لأحد الرواة بعض ملامح صورة فلسطين التي بنتها الاثنتين وثمانين رواية التي جمعتها:

"أحلامنا هي أحلام مؤجلة وشكل الواقع القميء، ما بيسمحلك تحكي بأريحية، إذا بتحكي بأريحية بتضحكوا عليك العالم، يعني هيك صرت تحسي، إنه أنا بدي أرجع على فلسطين وحق العودة والشجرة وبدنا نقعد تحت الشجرة ونزرع: إيه أنو شجرة وأنو تراب؟ ... يعني بتطلعلك القضايا الواقعية على الأرض: صراع فلسطيني-فلسطيني، وعدو إسرائيلي ما برحم، ووضع إنساني مخيف جداً، يعني دولة عربية مسكرة معابرها، أنو شجرة؟ وأنو أحلام جميلة؟ يعني حتى فلسطين الدولة ومابعد الدولة هي أمر غيبي وأمر ضبابي .. أمر غير مفهوم .. يعني مالها بهالجمالية .. لهيك صار الواحد يحكي إنه أحي بهاي الفترة ما بدنا شي، بدنا تظل فلسطين بس حلم، فقط حلم لأنه الواقع راح يكون قميء جداً، يعني راح يكون سيء، وأثبتت أحداث غزة إنه الواقع سيء، يعني من يحاصر الفلسطينيين هم المصريون: العرب عم بحاصروا فلسطين، يعني الفلسطينية عم بقتتلوا في الشوارع ... ما بعرف هذا الطريق القذر اللي ودونا فيه، والأمور المحزنة جداً، يعني مشان هيك: فلسطين الحلم أجمل من فلسطين الواقع ربما!"[7]

هذا جزء من صورة فلسطين التي سردها جزء من الفلسطينيين الذين يشكلون الوجود الفلسطيني ومع ذلك يُمنَعُون من التدخل في صناعته إلا ضمن الحدود التي تعيد إنتاج علاقات السيطرة الاستعمارية القائمة. إن وجود روايات متنوعة ومختلفة في المضمون والشكل لفلسطين يعكس تنوع الفاعلين الاجتماعيين وأدوارهم أولاً والحالة المعقدة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني في ظروف الاضطهاد والاستلاب والاقتلاع المستمرة نتيجة تضافر عدة عوامل ثانياً. أبرز هذه العوامل، كما يظهر في روايات اللاجئين الذين قابلتهم هو السيطرة الاستعمارية المباشرة؛ والهيمنة التي يفرضها عدة أطراف: السلطة الحاكمة، والأحزاب السياسية، أو المؤسسات الأخرى: العائلة، الجهة المشغلة أو المانحة للفلسطيني..إلخ؛ إضافة إلى ظروف اللجوء المادية والنفسية؛ والمؤثرات الإعلامية والفكرية والسياسية التي تتعدد منابعها في زمن العولمة.[8] وهناك عامل آخر هنا هو اللاجيء الفلسطيني في لحظة فعل الرواية، وهذه اللحظة،

[6] يظهر تأثير البعد الطبقي واضحاً بمقارنة روايات كل من النمط الواقعي السياسي والنمط المحبط.

[7] مقتطف من رواية سجلتها مع شاب في مخيم اليرموك في شهر آب 2008.

[8] اعتمدت في قراءتي للروايات على عدد من المداخل النظرية بما يسمح بفهم أعمق للمعاني المباشرة لسرديات الرواة| اللاجئين، وتلك المستترة بحد تعبير سكوت في كتابه المقاومة بالحيلة (سكوت 1995, 34). ووجدت تشابهاً في صيغ ومضامين الروايات التي جمعتها مع تلك التي أوردها فانون (1972) في شرحه لمفاهيم السيطرة وصيغ المقاومة للاستلاب والاضطهاد التي عايشها الجزائريون في فترة الاستعمار الفرنسي كما بينت في الفصل الثالث من تقرير الرسالة. واعتمدت على مفاهيم عدد من المنظرين: ماركس، وهايدغر، ودركهايم، وسارتر في قراءة نماذج الاغتراب والاحساس بالضياع والاستلاب والأنومي|اللامعيارية الذي يعيشه الفلسطينيون كأفراد وجماعة. وفي قراءتي لهيمنة الخطاب الحزبي والرسمي في بعض الروايات، اعتمدت على مفهوم الـ (hegemony)، بالمعنى الذي طوره غرامشي كجزء من نظريته حول المجتمع المدني، أي الهيمنة الأيديولوجية أو هيمنة أيديولوجيا الطبقة الحاكمة والتي تشكل مصدراً رئيسياً لفرض سيطرتها دون الاضطرار للجوء إلى القوة، بمعنى أن تغلغل هذه الهيمنة ضمن مسار الحياة اليومية للناس وفكرهم تجعلهم في وضع من يطبق أيديولوجيا السلطة معتقدين أنهم يقومون بذلك بمحض

هي الأخرى مكبلة بتأثير العوامل نفسها، يُضاف إليها ظروف الباحثة والبحث. ويظهر تأثير جميع هذه العوامل بدرجات متفاوتة في الروايات التي جمعها هذا البحث.

يشكل اللاجئون في المكانين صوراً مختلفة لفلسطين أفردت لها فصلين في التقرير النهائي للرسالة ضمن عنوانين: صورة فلسطين الواقع وصورة فلسطين الأحلام وفقاً لدرجة اقتراب أو ابتعاد الصور التي يرسمها الرواة من صورة فلسطين "المسموح بوجودها" اليوم بتأثير العوامل التي ذكرتها أعلاه. تعكس الصورتان غياب سردية وطنية موحدة بين الفلسطينيين، ويمكن إيعاز ذلك إلى التشتت الجغرافي للفلسطينيين كشعب وقيادات وغياب أجهزة الهندسة الاجتماعية التي تسهم في نمو مقومات الهوية الموحدة: النظام التعليمي، والأحزاب والحركات السياسية لتُنْتِج صورة لفلسطين تخدم غاياتها العملية كما يوضح هوبسباوم: "سواء كانت الهوية القومية أو الوطنية *تقاليد مخترعة*، فهي موضوعة في خدمة "غاية عملية" تهدف إلى صناعة مجتمع ودولة يرتبطان ببعضهما بشكل متزايد" (Hobsbawm 1983, 13-14). والصورة الأبرز في الحالة الفلسطينية اليوم للناظر إليها من على السطح السياسي هي الانقسام بالنسبة إلى مشروع بناء الدولة في الداخل والخارج على السواء، لكن هناك صور أعمق يراها فقط من ينغمس بين الناس الذين مازالوا يصارعون للحفاظ على إنسانيتهم وسط شرط استعماري كولونيالي ما زال مستمراً منذ سايكس بيكو.

2. السرديات/ الروايات وآليات بناء الذاكرة والمخيال الاجتماعي

بالعودة إلى المنظرين السوسيولوجين، تُظهر فكرة دوركهايم بأن كل مجتمع يحتاج إلى أن يشعر باستمرارية الماضي وبأن هذا الماضي هو الذي يمنح الأفراد والجماعات هويتهم، هذه الفكرة تسمح لنا برؤية الذاكرة الجماعية كأحدى الأشكال المهمة للحياة الاجتماعية (Misztal 2003,124). وقد تبلورت، الفكرة، من اهتمام دوركهايم بالماضي كحقيقة اجتماعية. "فحين نتذكر، لا نتذكر كأفراد بل كأعضاء في مجموعات محلية أو قومية. يتحدد ما نتذكره من ماضينا بما يخبرنا به آباؤنا وأجدادنا، بمعنى آخر أكثر عمقاً، فإننا نعرف أنفسنا من خلال الذكريات الباقية من المجموعات التي ننتمي إليها. وعندما تتزامن الحدود الجماعية مع الذكريات المشتركة، فإننا نشعر بالفخر أو بالخجل من الأحداث الماضية التي قد تكون وقعت قبل أن نولد (Schwartz 1996, 278). ويضيف هالبواكس (Halbwachs)، تلميذ دركهايم، في السياق نفسه: "قد يقول أحدهم بأن الفرد يتذكر من خلال

ارادتهم. ولعل أكثر مظاهر الهيمنة بروزاً – في المجتمعات الحديثة – هي قمع الآراء المختلفة من خلال تأسيس معايير تحدد ما هو الشرعي، الممكن، العقلاني، العملي، الجيد، الحقيقي، الجميل. ويعد التعليم ووسائل الاتصال من أهم الأدوات لتكريس السيطرة. واحدى النتائج التي تنجم عن عملية الهيمنة (*hegemonic process*) هي أن غالبية السكان يصبحون غير مدركين لوجود خيارات بديلة من القيم وقراءات أخرى مختلفة للتاريخ (Sallach 1974, 41). وهذا ما شرحه ألتوسير في نقده للمناهج الدراسية كونها ليست مكاناً محايداً كما تحاول الإيديولوجيا المسيطرة أن تصورها بل أنها حلت مكان الكنيسة لتلعب دوراً حاسماً في تجديد انتاج علاقات انتاج نمط معين من الانتاج مهدد في وجوده بصراع طبقي عالمي. وبما أن الأفراد هم القوة الرئيسية للانتاج، فيتوجب اعدادهم اعداداً جيداً ليؤدوا دورهم في سوق العمل في المجتمع الرأسمالي، وهنا يأتي دور التربية والتعليم، وأهم مؤسسة فيها وهي المدرسة التي صنفها ألتوسير على أنها من أهم أجهزة الدولة الأيديولوجية، لا سيما أنها الجهاز الوحيد الذي يتمتع بمستمعين مكرهين، خمسة إلى ستة أيام أسبوعياً، وثمان ساعات يومياً (ألتوسير 1981، 97).

موضعة ذاته ضمن منظور الجماعة التي ينتمي إليها، ولكن في نفس الوقت، يمكن أن يُقال بأن ذاكرة الجماعة تتحقق وتبرز أيضاً من خلال ذاكرة الفرد" (Halbwachs 1992, 40). وبهذا يُحَمّل هالبواكس الذاكرة وظيفة اجتماعية، ففي كتابه "الذاكرة الجماعية" (On Collective Memory)، قدم هالبواكس تصوراً جديداً للكيفية التي يبني عبرها الأفراد روايتهم للماضي، منطلقاً من أن الأفكار والاهتمامات والطموحات التي يحملها الأفراد في الحاضر تؤثر في تشكيلهم لرؤى مختلفة للماضي.

حاولت مقاربة تفسير هالبواكس على السياق الفلسطيني الحالي؛ لكن الأمر لا يبدو بهذا الوضوح، فمن الصعب موضعة أفكار الفرد ضمن جماعة محددة، خاصةً في وقت اتسع فيه انتشار المؤثرات الاعلامية والفكرية، لتتجاذب الفرد منا قوى عديدة فاعلة في الداخل والخارج، بعضها ملموس (ضمن المحيط المادي الذي يعيشه الفرد) والكثير منها يأتيه من خلال عوالم تُوصف بالافتراضية (جماعات الاهتمام المشترك على الانترنت والفضائيات). ما أود قوله هنا، باختصار، هو أن وجود كل هذه العوامل يجعل تحديد الاطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد من الصعوبة بمكان. حتى وإن كان الحيز المكاني، كالمخيم، الذي يقطن فيه الرواة/ المبحوثون حيزاً محصوراً، ويمكن تخطيط حدوده الفيزيائية بوضوح، إلا أن التحديد المكاني وحده غير كافٍ. فهناك العديد من المؤثرات التي تلعب دوراً في تشكيل الفضاء العام والخاص للأفراد الذين يسكنون المخيم. والعامل الآخر المهم والذي لم يأخذه هالبواكس بعين الاعتبار هو الدور الذي تلعبه الشروط المادية التي تسمح للفرد والمجموعات بالوجود واعادة انتاج وجودهم، فهذه بلا شك ستلعب دوراً في بناء وتحديد الإطار الجماعي الذي ينتمي إليه الفرد مدفوعاً بدرجات مختلفة بين الرغبة الفردية أو الاكراه بسبب تبعيته لعائلته أو مشغّله فحينها قد يضطر إلى تشكيل ذاكرته لتتناسب وفكر أو أيديولوجيا الجماعة التي تتحكم بمصدر رزقه حتى لو لم يكن مقتنعاً بهذا الفكر في قرارة نفسه، ليدخل الفرد في حلقة أخرى من الاغتراب. وفي مقارنته الذاكرة بالتاريخ، يجادل هالبواكس أنه بينما توجد طبعة واحدة فقط للتاريخ، توجد ذاكرات جماعية عديدة (*several collective memories*) (Halbwachs1992, 38). يبدو هنا وكأن هالبواكس يصف التاريخ بالموضوعية، مقارنة بالذاكرة، مع أنه هو أيضاً مرهون بذاكرة من يقوم بتسجيله.

قدم بيير نورا (Pierre Nora)، مقارنة مختلفة قليلاً بين التاريخ والذاكرة، فهو يقارن بين التاريخ المصطنع، كما يسميه، والذاكرة الحقيقية ليجادل بأن الذاكرة بطبيعتها حية، بينما التاريخ لا يخضع فقط للبناء وإنما لاعادة البناء. وخلال دراسته للهوية الجماعية الفرنسية، اقترح نورا، مفهوم أماكن الذاكرة (*Les Lieux de Mémoire*) والتي تشير إلى أي "كينونة أو وجود مميز، بغض النظر إن كان مادياً أو رمزياً، والذي أسهم التدخل البشري أو مرور الزمن في تحويله إلى أحد الرموز التي تشكل الذاكرة التراثية لأي مجتمع" (Nora 1996, xvii).[9] ويعزي نورا تكثف الذاكرة بشكل مستمر في أحاديثنا اليومية إلى غيابها المادي عن حياتنا: "Memory is constantly on our lips because it no longer exists". بعد أن تم تذويب الذاكرة في السرديات الكبرى (*metanarratives*) للتاريخ. وكما جاءت السرديات الرسمية للتاريخ لتحل محل التقاليد والأعراف والخبرة المعاشة للأحداث، جاءت أماكن الذاكرة لتتكثف ذكريات أحداث مضت حول النصب التذكارية والأعمال الفنية والكتب التاريخية وأيام الذكرى السنوية فتحل محل العوالم الحقيقية التي عايش فيها الناس الأحداث الماضية. فتشعر، بحد تعبير نورا، وكأن "أماكن الذاكرة" جاءت لتقول باستحالة وجود الذاكرة بشكلها الطبيعي والعفوي (Schwartz 1998, 66).

[9] Sites of Memory. https://tspace.library.utoronto.ca/citd/holtorf/2.6.html, retrieved on 16 April 2009.

وَصفُ نورا للطريقة التي تم بها ترسيم (من رسمي/ عكس شعبي) الذاكرة الجماعية الفرنسية لتتجمع مشاعر الحنين (*Nostalgia*) والحزن والافتخار حول "أماكن الذاكرة"، يثير التساؤل حول الشكل الرسمي الذي تطورت به الذاكرة في الحالة الفلسطينية مع أخذ خصوصية الحالة بعين الاعتبار:[10] فهل تحولت التجارب المُعاشة للاستلاب والاقتلاع التي مازال الشعب يعيش آثارها إلى اليوم إلى مجرد أماكن للذاكرة في السردية الرسمية الفلسطينية؟ وأين "النكبة" و"المخيم"، على سبيل المثال من أماكن الذاكرة التي يصفها نورا؟ "ففي حين كانت القيادة الفلسطينية ترى في المخيم، في فترة الثورة، مخزناً للفدائيين والشهداء والأمهات اللواتي يُنتجن شباباً تستهلكهم دروب العودة إلى الوطن، يبدو أنها أعادته إلى السبات اليوم" (دراج 1996، 17). وقد يكون هذا أحد العوامل التي أدت إلى تعميق مشاعر الاغتراب لدى اللاجيء. الأمر الذي يظهر بجلاء في روايات اللاجئين الذين قابلتهم وينعكس من خلال ردود فعل مختلفة لديهم كما يتضح في تحليلي لروايات اللاجئين حول المخيم.

وإذا نظرنا إلى الذاكرة الجماعية من ناحية الوظيفة التي تقوم بها، فهي تعتبر أحد الأسس المهمة لبناء الشعور القومي والهوية القومية، فالذاكرة الجماعية "ليست شيئاً خامداً سلبياً، وإنما هي مجال فعالية يتم في إطاره انتقاء أحداث الماضي وإعادة بنائها وصوغها وتحويرها ومهرها بالدلالات السياسية" (سعيد 2002، 101). وقد تساعد دراسات هالبواكس ونورا التي استعرضتها باختصار هنا في فهم عملية بناء الذاكرة الجماعية للأحداث الماضية وعمليات اعادة بنائها بما يلائم حاجاتنا الحاضرة،[11] "لتتحول الذاكرة إلى رموز مادية ظاهرة تستبدل المعاني الضمنية التي تحملها الأحداث في حياة من عايشوها" (Olick and Robbins 1998, 121)، بما أن الذاكرة هي احدى المكونات الرئيسية التي تُبنى عليها الروايات التي تهتم بها هذه الدراسة. إلا أن تحليلات هالبواكس ونورا – التي تستند إليها الكثير من الدراسات الحديثة عن الذاكرة الجماعية، فتحلل دور النسق الجمعي والمؤسسات الاجتماعية والرسمية في بناء ذاكرة الأمم وسردياتها[12] – لا تقدم مفاتيح جاهزة لتفسير عملية بناء الذاكرة والسرديات الوطنية في جميع الحالات. خاصة في حالة الاقتلاع من المكان: "فهدم المكان وضياعه، لا بد أن يترك آثاراً هدامة على التاريخ وعلى الذاكرة والهوية بصيغتيهما الفردية والجماعية" (Fullilove as quoted in((Gieryn 2000, 482). مما يؤسس لدور أكبر لعملية المخيال الاجتماعي، التي تنعكس في السرديات الشعبية للشعوب المضطهدة، والتي تتحكم في انتاجها القوى والإيديولوجيات المسيطرة، كما

[10] لا يمكن قراءة تجربة اللجوء الفلسطيني خارج إطار الشروط التي شكلتها وتعيد تشكيلها: أولاً، الشرط الخارجي الاستعماري الذي ما زالت آثاره مستمرة في المكانين بدرجات متفاوتة كما يظهر في روايات اللاجئين (الاحتلال الاسرائيلي هو امتداد زمكاني للاستعمارات المتلاحقة، يتعدى فلسطين جغرافياً، ويسبق 1948 تاريخياً بقرن، منذ نشأة الاستعمار الغربي الحديث)، وثانياً، حالة اللجوء القسري والعيش في مخيمات مبعثرة داخل فلسطين وخارجها- لأكثر من 62 عاماً – وإن تغيرت بنية المخيمين المادية والديمغرافية بمرور الزمن، وثالثاً، الشرط الداخلي الفلسطيني ببعديه السياسي الرسمي والشعبي.

[11] As Halbwach declares that our understanding of the past is always instrumental to the solution of present problems quoted in (Schwartz 1982, 376).

[12] I noticed that several research works on the building of memory and national narratives are based on Halbwachs' and Nora's interpretations and representations of collective memory. See for example: Barry Schwartz's articles (1982, 1991, 1996, 1998), Jeffrey Olick (1998), articles' titles are listed in the reference section at the end of this article.

ورد في وصف إحدى الباحثات في الحالة الأرمنية، فهنا وإن غاب الشكل الحداثي للدولة، إلا أن هذه الشعوب تلجأ إلى أشكال أخرى من عمليات الهندسة الاجتماعية من خلال مبادرات تعليمية تقوم بها مراكز بحثية ومنظمات سياسية في محاولة نشطة لإعادة انتاج "الأمة المسموح بوجودها" (permitted nation) (Barseghyan 2004, 13). ويمكن أن أستعير هنا تعبير الباحثة للحديث عن "الوجود الفلسطيني المسموح به".

فما هو شكل الوجود الفلسطيني في روايات الفلسطينيين اليوم؟ هل يتحدد بالشرط الواقعي "المسموح به" أم يتسع به المخيال الاجتماعي ليتجاوز حدود الزمان والمكان للوجود الفلسطيني المبعثر اليوم؟

إذا حاولنا مقاربة أفكار نورا وهالبواكس على الحالة الفلسطينية المدروسة هنا، لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار غياب دور الدولة في خلق ذاكرة جماعية عن المكان وتاريخه في الوقت الذي يخضع فيه الوجود الفلسطيني المشتت جغرافياً لشرط استعماري ينفي جزء من الأرض والسكان ويطبق سيطرته العسكرية على الجزء الباقي. بينما السلطة الحاكمة الفلسطينية محكومة باتفاقيات لا تحقق لها أية سيادة على التجمعات الفلسطينية المشتتة، إضافةً إلى أن استمرار وجودها مرهون بالالتزام بأيديولوجيا التسوية التي تعني هدم الرموز الجماعية التي كانت تؤسس للهوية الوطنية الفلسطينية والذاكرة الجماعية وأبرزها: نكبة العام 1948، واللجوء، والعودة. لكن هل يؤدي غياب قيادة تُعنى بالذاكرة الجماعية بالضرورة إلى تغييب الذاكرة لدى الفلسطينيين أفراداً ومجموعات؟

هذا ما حاولت التعرف إليه من خلال جمعي للروايات الشفوية من لاجئين يعيشون في مخيمين مختلفين. فالمخيمات كانت جزءاً لا يتجزأ من الذاكرة الجماعية للنكبة، حيث يلجأ اللاجئون المنفيون عن أرضهم إلى أساليب مختلفة لاعادة خلق وطن يشكل امتداداً لجذورهم في الماضي ويحقق طموحاتهم المستقبلية. لكن المخيم، في نفس الوقت، من خبرتي السابقة في العيش فيه، وكما ظهر في الأبحاث التي استعرضتها في المراجعة الأدبية هو فضاء مكاني يشكل حالة تهميش واغتراب لقاطنيه عن محيطهم، مما يعزز الحاجة إلى اعادة بناء الوطن السليب في الخيال. وهذا يتوافق مع ما توصلت إليه الباحثة ليزا مالكي، بأن الأرض أو الوطن، في حالة اللجوء/النفي، يميل إلى أن يكون أقرب إلى الميتافيزيقي والرمزي منه إلى الحقيقي. وأن العلاقة بين مفاهيم الأرض، والنفي أو اللجوء والمقاومة هي علاقة معقدة. فاللاجئون في مخيمات اللجوء يعيدون خلق صورة لوطنهم ليساعدهم ارتباطهم بهذه الصورة الذهنية في إعادة موضعة أنفسهم في المكان والزمان الجديدين (Malkki 1992, 35). تلعب المتخيلة دوراً هاماً في البنية العقلية. فهي تربط أعمق طبقات اللاشعور بأعلى نتاجات الشعور (بالفن)، الحلم بالواقع. وهي تحرس نماذج النوع، والأفكار الخالدة ولكن المكبوتة، للذاكرة الفردية والجماعية (ماركوز 2007، 159).

كما يظهر في روايات الفلسطينيين في الأبحاث التي راجعتها وفي هذه الدراسة أيضاً، تتخذ فلسطين صوراً مختلفة في الخيال، الماضي الجميل، خاصةً بين فئة اللاجئين الأكبر سناً، فحين تسأل واحدة من العجائز الفلسطينيين عن الحياة في فلسطين قبل تهجير 1948، تسمع أغلبهم/نَّ يقول "كنا عايشين في الجنة" وقد تُعتَبَر هذه الفكرة من قبل الواقعيين منا يوتوبيا، لكن الفلسطيني الذي كان يعيش

معتمداً على خيرات أرضه بحياة فلاحية أقرب إلى البساطة لا بد أن يستعيد الماضي في خياله كالجنة مقارنة بالحاضر البائس في المخيم ورغبة منه بمستقبل مختلف. ولا يقتصر الخيال على العودة إلى الماضي وإنما كما قال ماركوز قد يتجه خيال الفرد به إلى المستقبل، وهو ما ظهر في هذا البحث في روايات النمط الحالم بالغد الأجمل، ليصنع الراوي ماضي فلسطين في خياله بما يلائم الصورة التي يريدها لفلسطين المستقبل. وأحياناً يلجأ الرواة إلى الخيال الابداعي، المسرح، مثل الشابة الصفورية في مخيم اليرموك التي اختارت أن تخبرني بروايتها عن فلسطين من خلال العمل المسرحي الذي كتبته: ويبدأ بقصة الاقتلاع التي ترويها بسرد قصص ثلاث فتيات جمعتهن صداقة قديمة على أرض الوطن، تجسدت مادياً في صورة التقطها لهم مصور لتحتفظ كل منهن بنسخة منها. لكن الفتيات يفترقن بفعل الاستعمار القسري في العام 1948، لتذهب كل واحدة منهن في اتجاه، وتنتهي قصة المسرحية بالتقاء الفتيات عندما يكبرن، ويظهر هذا اللقاء الشخصي بينهن كتعبير عن حلم يعيش في خيال الراوية لاعادة تجميع أجزاء الوطن بمكوناته الثلاثة: أهل الضفة وغزة، ولاجئو المخيمات، وفلسطينيو العام 1948:

*"عملي المسرحي بحكي عن أوجاع فلسطين، هن كانوا بمنطقة واحدة بفلسطين، وصار الاحتلال وتبعثروا، واحدة رجعت على الضفة لأنها بالأصل من نابلس، وواحدة طلعت لبرّا، وواحدة بقيت. أنا عملت شوية تحليل، إنه كيف كانوا وشلون طلعوا، عملت دراسة وحكاية. واحدة منهن لما صارت حرب الـ 48: إنه كيف طلعونا، حدا طلع، حدا بقي وحدا هرب، تخبى بالكنيسة. أنا عاملتها بكنيسة، لأنه جزء كبير من قرايبنا تخبوا بدير بصفورية. فأنا عملت المسرحية بشكل إله علاقة بالحكايا اللي بذاكرتي.... أطفال كان عمرهن ثمان سنوات رجعوا التقوا بعد خمسين سنة ببلد أجنبي لأنه الثلاثة ما قدروا يلتقوا على أرض الوطن. والثلاثة عندهن حلم، اللي برا، صارت مصورة شهيرة بالعالم. وعندها حلم إنها ترجع على فلسطين، بتصور كل الدنيا إلا فلسطين ما قدرت تصورها. والبنت اللي في نابلس بتحكي عن وجعها، وجع الاحتلال ووجع الشهداء ووجع القهر. والبنت اللي في الـ 48 بتحكي عن وجع الجنسية الثانية ومعاناتها إنه أنت بأرضك القريبة منك بتشوف الحقل والورد بس صعب تقطف منها وتشمها، بس هي بترسم الصورة لأنها صارت فنانة. أنا **بحكي بهاي المسرحية عن هاي البنت اللاجئة اللي هي احنا**، بتجسد هاي المسرحية أكثر شي صوتنا ومتضمن فيها الشخصيات الثلاثة كون صورة الضفة واضحة بالاعلام، والـ 48 ما كثير واضحة بس المعاناة هي القبول بالجنسية الثانية، واحدى الحوارات هي: "قبلنا بالجنسية الاسرائيلية على مضض، قالولنا يا بتقبلوا بالجنسية، يا مكانكم مثل غيركم برا، فقلنا: بقينا، قبلنا بجنسيتهم مرغمين، قلنا الكحل ولا العمى". فأنا من خلال هذا العمل عم بحكي عن هاي الثلاث شخصيات وبحكي عن الحلم."* [13]

يُظهر هذا المقطع كيف يوظف اللاجيء خياله لخلق صورة لفلسطين أجمل من صورة الواقع وممكناته المستقبلية: تستخدم الراوية هنا مهاراتها المسرحية والابداعية والبحثية لتعيد بناء قصتها لفلسطين بما يحقق حلمها باتحاد الأجزاء المبعثرة، فترسم صورة لفلسطين كما

[13] من مقابلة أجريتها مع شابة في مخيم اليرموك خلال شهر آب 2008.

تحلم أن تراها. ويظهر من خلال الرواية تداخل عدة عناصر: الذاكرة والخيال والقراءة والبحث في بناء سردية فلسطين. قد يكون هذا نموذج فردي، بما هو عمل ينتجه الخيال الابداعي الفردي، ويعبر عن طاقات واهتمامات الفرد المبدع، لكنه يلعب أيضاً دوراً في بناء الذاكرة العامة كما يبين أندرسن في كتابه "الجماعات المتخيلة" حين بدأ جدالاً مهمًّا حول العلاقة بين الأدب، لا سيما الرواية، وبين القوميّة (أندرسن 1999، 55). حيث يشير إلى الدور المهم للرواية في تكوين وبناء القوميّة عَبر كونها وسيلة معاصرة لتمثيل الجماعة المتخيَّلة. في الرواية، ثمّة عدة شخصيّات تقوم بأدوار مختلفة بدون أيّ رابط، وبدون أن تعرف الشخصيةُ الواحدة الأخرى. القارئ هو الذي يرى الأحداث بتزامن بينها، وهو الذي يعرف انتماء كل الشخصيّات لنفس المشهد الاجتماعي. الأحداث في الرواية موازية – بحسب أندرسون – لـِ "الجماعات المتخيَّلة". في هذا السياق، يمكن القول أن الأدب يروي للجماعة حلمها المشترك، أو يُنسيها أحداثًا مأساويّة عايشتها، من خلال إحيائه لبعض الذكريات أو إقصائه لها عن الذاكرة الجماعية، ممّا يسهم في صقل خيال واحد وذاكرة واحدة.

يُظهر الانقسام في السردية الفلسطينية المجموعة في الدراسة صورتين لفلسطين: فلسطين "المتخيلة" أو فلسطين الأحلام، وفلسطين "المسموح بوجودها اليوم" أو فلسطين الواقع حسب "المعايير والاتفاقيات الدولية". وتبين أن الرواة يبنون سردياتهم لفلسطين من عدة مصادر: فتأتي تجاربهم ومشاهداتهم في الحياة في الدرجة الأولى، تليها ذاكراتهم و/أو الذاكرة التي ورثوها عن الآباء، بينما يظهر في بعض الروايات تأثير الانتماء الحزبي و/أو الديني والخطاب الإعلامي والذي يتدخل أيضاً في اضفاء أبعاد رمزية ومادية لصورة فلسطين. ومن حيث المضمون، تغطي الروايات _التي صنفتها ضمن ثمانية أنماط_ عدة محاور، لعل أكثرها بروزاً: الحياة في فلسطين قبل سنة 1948، والمسيرة السياسية الفلسطينية في الماضي والحاضر معنونة بما قبل أوسلو وبعده، والرؤية المستقبلية والحياة في المخيم. ويتميز كل نمط من أنماط الروايات بسيادة أسلوب معين وأحياناً موضوع معين لتقدم الدراسة بمجملها روايات متنوعة لفلسطين تتراوح في مضامينها بين الاجتماعي، والتاريخي، والأدبي، والسياسي. تختلف مضامين أجزاء الروايات وأشكالها بين الأنماط المختلفة، ليبدو وكأن الراوي يستذكر الماضي الذي ورثه غالباً عن أبيه وأمه ويعيد تشكيله بعيون الحاضر متأثراً بتجاربه الحياتية وانتماءاته السياسية وقراءاته ومشاهداته للأحداث سواء بشكل مباشر (قلنديا) أو غير مباشر عن طريق المحطات الفضائية والانترنت (اليرموك وقلنديا).[14] ويلاحظ من عرض الروايات بأنماطها الثمانية أنه لا توجد علاقة مباشرة للاختلافات فيها بمكان اللجوء بما أن المخيمين _اليرموك وقلنديا_ يسهمان برسم الصورتين. سأكتفي هنا بعرض مختزل للصورتين ويمكن الرجوع إلى تقرير الرسالة للتعرف على روايات الأنماط المختلفة بعمق أكبر.

تقترب صورة فلسطين الواقع من الصورة الممكنة والمسموح بوجودها بواقع 47 رواية من المخيمين تميل إلى اختزال فلسطين إلى بعد واحد هو الممكن المكاني أي البعد الجغرافي، فتركز الروايات هنا على اليومي والحاضر والممكن والسياسي أكثر من تركيزها

[14] تتفق هذه النتيجة مع ما أوردته في الفصل الثاني وبالتحديد حول فكرة هالبواكس في كتابه (On Collective Memory) من أن "الأفكار والاهتمامات والطموحات التي يحملها الأفراد في الحاضر تؤثر في تشكيلهم لرؤى مختلفة للماضي (Halbwach 1992, 183).

على الماضي والتاريخي والمأمول في المستقبل لتثير ردود فعل تزرع في النفس الإحباط، أو الرغبة في الهروب من آثار الاقتلاع المستمرة بتقبل الفاعل الاجتماعي (الرواة هنا) لمبررات حزبية أو فكرية مؤطرة بالواقعية السياسية، أو الانسحاب من التاريخي للانغماس في صراع البقاء اليومي. وعلى هامش صورة الواقع المسيطرة على المشهد يقف الجزء الآخر من الرواة ــوعددهم 35 راوياً وراوية من المخيمينــ الذين يحاولون استقراء صورة مختلفة عن الصورة الواقعية التي فرضها الشرط الاستعماري الخارجي تساعدهم عدة عوامل منها اهتمامهم بالقضية الجمعية لتنعكس في مشاريعهم الشخصية فتثير لدى الفاعل الاجتماعي هنا مواقف مختلفة منها الرغبة باستعادة ماضي البلاد الجميل أو الغضب ورفض التخلي عن الحلم والابتعاد عن الوسائل التي تؤجل تحويل الحلم إلى واقع، أو الرغبة التي يرافقها العمل و/ أو الإرادة من أجل خلق إمكانيات وجود فلسطيني جديد. ولا تقتصر هذه الروايات على البعد المكاني فقط وإنما يتداخل فيها بعدي الجغرافيا والتاريخ، حيث يقرأ الرواة أحداث الماضي والحاضر قراءة نقدية ومقارنة مستندين على مخزون من الذاكرة المتقاطعة مع الوعي الفكري والتنظيمي أو الحزبي.

3. استنتاجات البحث

وفيما يلي أقدم عرضاً مختصراً لأبرز الاستنتاجات من حيث الحدث الرئيسي في روايات المبحوثين، الإختلافات الموجودة في مضامين الروايات بين المخيمين، ودور المؤسسات الإجتماعية في تشكيل الذاكرة والواية الفلسطينية.

3-1. الحدث الرئيسي في روايات المبحوثين

تظل النكبة المكان المشترك للذاكرة في ذهن اللاجئين أو الراوة الذين قابلتهم. فقد ظهرت في معظم الروايات كلحظة الاقتلاع العنيف من المكان، والمقصود بالمكان هو "البلاد" أو "الأرض" التي انتُزِعَت من اللاجئين لتصبح بلاداً لآخرين إلا أن الرواية تتشكل من أصوات متعددة بتعدد تجارب رواتها في الزمان والمكان: الزمان الذي يفصل بينهم وبين لحظة الاقتلاع، والمكان الذي يشغلونه في المساحة الممتدة بين الواقع الاستعماري الإقتلاعي والخطاب الدولاني الحقوقي والشعاراتي الذي يغزو الفضاء العام. يعكس اختلاف التجارب بين الرواة، اختلافاً في الصور التي يحملونها لفلسطين في رواياتهم. ويُلاحَظ أن نكبة 1948 تحولت في بعض الروايات إلى مكان للذاكرة بمفهوم بيير نورا (Nora 1996)، خاصة بين الرواة الأصغر سناً، حيث اتخذت في رواياتهم صيغة شعار ومناسبة يتم إحياؤها، من خلال عمل مُمَأسس. ليطل حدث آخر هو اتفاقيات أوسلو التي يمكن أن توصف كلحظة توتر في معظم الروايات على اعتبار أن أوسلو، شكل لحظة التجسيد المادي للشرخ في صورة فلسطين –بين الواقع والأحلام– كما تتجلى على أرض الواقع وفي الخطاب الفلسطيني الرسمي متمثلاً بانتقال مركز ثقل المنظمة من الخارج إلى الداخل والتغير الذي تطلبه هذا

الانتقال في المشروع الفلسطيني من مشروع تحرير إلى مشروع تدويل. إلى جانب النكبة، تظهر اتفاقيات أوسلو كحدث رئيسي في روايات جميع الأنماط، باستثناء النمط المسحوب من التاريخي إلى اليومي، وقدم أغلب الرواة، باستثناء جزء من رواة النمط المأسور بالمشهد المحيط، قراءة نقدية لمشروع أوسلو كشكل من أشكال مقاومة الخطاب المهيمن من قبل النخبة السياسية التي تقود الفلسطينيين عامة وليس اللاجئين حصراً.

3-2. الاختلاف في مضامين الروايات بين المخيمين

بالرجوع إلى تحليل روايات كل نمط يمكن أن نستخلص أن التجربة الحياتية التي تسيطر عليها الحالة الاستعمارية لا تزال تلعب الدور الرئيسي في بناء روايات اللاجئين في حالة قلنديا. لذا تتركب أجزاء صورة فلسطين في روايات قلنديا من قصص طويلة تصف الاضطهاد الذي تفرضه السلطات المختلفة التي تناوبت في حكم أو إدارة شؤون البلاد تقابلها قصص أقصر تصف المقاومة. بينما يبني اللاجئون في سوريا رواياتهم عن فلسطين بتأثير عوامل متداخلة: المعاناة المستمرة الناجمة عن اللجوء والتشتت والتي تظهر بشكل مختلف بين الأنماط المختلفة. وهناك عامل آخر هو الصراع الذي يعيشه الأشخاص في المخيمين بين الهيمنة الأيديولوجية المركبة (من الخطابات السائدة سياسية و/أو فكرية أو/و حزبية) وتجاربهم الحياتية والظروف الناشئة عن الحالة الاستعمارية العامة، إضافة إلى ظروف اللجوء في سوريا التي ساهم توجهها القومي بمنح اللاجئين الفلسطينيين حقوقاً أكبر من تلك التي منحتهم إياها دولاً أخرى[15] مما شجع بعض الرواة في اليرموك على تجاوز الشرط الواقعي المسموح به للوجود الفلسطيني.

ومع أن الروايات التي تتشكل في المخيمين تتوزع على الأنماط الثمانية كلها، إلا أنها تختلف من حيث المضامين. أورد هنا الاختلاف في قصة البلاد والهجرة على سبيل المثال: ترد "قصة البلاد والهجرة" بتفاصيل أكبر لدى الجيل الموجود في مخيمات الخارج مع الأخذ بعين الاعتبار أنه توجد اختلافات في القصة بين الأجيال في المخيم الواحد. لكن بشكل عام، ذاكرة اللاجئين في مخيم اليرموك كانت تزخر بتفاصيل أكثر حول القرية وحياة أجدادهم فيها وقصص المقاومة والمجازر ورحلة التهجير الطويلة وتشتت العائلة وتنقلها في أكثر من مكان، بينما نجد في فهرس ذاكرة اللاجئين في قلنديا وصف بسيط لقصة القرية والحياة البسيطة فيها التي تعتمد على الزراعة لتحتل قصص المواجهة المباشرة مع الاحتلال في الفترات المختلفة والأحداث السياسية الراهنة الجزء الأكبر من صفحات الذاكرة: (خاصة الانتفاضة الأولى والثانية). في روايات قلنديا تحديداً، كثيراً ما يختلط وصف الحياة الفلاحية المسترجعة من ذاكرة

[15] بعد النكبة، تبنت الحكومات السورية المتعاقبة نتيجة للدوافع القومية العربية موقفاً داعماً للفلسطينيين وحقهم في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم. وضمنت للاجئين منهم في سوريا نفس الحقوق والاحترام الذي يحظى به المواطن السوري، بما فيها حقوق التوظيف والعمل والتجارة وخدمة العلم وحق التملك (لأكثر من محل تجاري ولشقة سكنية واحدة)... ومن حيث الجنسية، يحتفظ الفلسطيني بجنسيته الفلسطينية لكنه يحصل على هوية سورية مسجل عليها بلد الأصل (حيفا، يافا) لتسهيل أمور الإقامة. وبذلك حصل اللاجئ الفلسطيني على نفس الحقوق المدنية التي يتمتع بها المواطن السوري تقريباً باستثناء حق الترشح والانتخاب للهيئات الرسمية والتشريعية والتنفيذية في سورية، أي لمجلس الشعب والرئاسة" (بديل 2000، 34-36).

الآباء بالملامح التي اختزنها الراوي/ة من زيارته لقريته المهدمة لتختلط مشاعر الحنين بمشاعر الصدمة والحسرة واليأس من استعادة الماضي. وهذا ما يفسر، جزئياً، ازدياد عدد الواقعيين في قلنديا عن عددهم في اليرموك، ويمكن قراءة هذه النتيجة بوضوح بمقارنة مضامين قصص البلاد والهجرة بين روايات الصورتين، ويلاحظ هذا بشكل خاص ضمن نمط الحالم بالماضي الجميل والذي يظهر بصورة أكبر بين رواة مخيم اليرموك.

3-3. دور المؤسسات الاجتماعية في تشكيل الذاكرة والرواية الفلسطينية

هناك تداخل بين تأثير المؤسسات الاجتماعية المختلفة على بناء وتشكيل ذاكرة اللاجئين عن البلاد في الماضي ورؤيتهم للحاضر والمستقبل، فالمؤسسة سواء كانت العائلة أو المدرسة أو المؤسسة الدينية أو الحزبية أو السلطة المتنفذة (سلطة الاحتلال، سلطة الحكم الذاتي، سلطة المجتمع المضيف)، جميعها، في الأساس، قوى اجتماعية لها مصالحها المادية وهي تمارس تأثيرها، حسب الظروف، بدرجات مختلفة. وبهذه الطريقة تُحكم الطبقات السائدة سيطرتها على الشعب، ليس بالضرورة من خلال القوة والإكراه وإنما من خلال فكرة "الحس المشترك" (common sense) حسب تعبير غرامشي الذي يضمن خلق أفراد وجماعات تستسلم بإرادتها لقبول الواقع على سوئه وتوافق بشكل عفوي على هيمنة الطبقة المسيطرة على الحياة الاجتماعية. باستعراض سريع للحالة الفلسطينية، نلاحظ أن منظمة التحرير التي تشكلت في الخارج وضمت مجموعة من الفصائل الفلسطينية بعد 1967 التي رفعت حينها شعار الكفاح المسلح كخيار وحيد وهذا ساعد على هيمنة القيادة الفلسطينية التي أسمت نفسها "الشرعية"، بما يعزز دورها المهيمن على فئات واسعة من الفلسطينيين الذين كانوا يرتبطون مع مؤسساتها المختلفة: المثقفين، القطاعات العمالية والطلابية والاتحادات المختلفة. "ليعطي العمل الوطني الفلسطيني صورة عن قلب العلاقات بامتياز: تبدأ المؤسسة من وطن ومشروع وطني وتعيد في تحولاتها السلطوية تنظيم العلاقات، فتصبح المؤسسة هي البدء والوطن علاقة تابعة" (دراج 1996، 29).

ويظهر في بعض مقاطع الرواة هنا رؤيتهم وقراءتهم للواقع الفلسطيني، والتي يوجهونها لتتناسب والتوجهات السياسية للحزب الذي ينتمون إليه، فنلاحظ حلول الخطاب الشعاراتي المتناقض أحياناً والتبريري معظم الأحيان محل الرواية التاريخية. ويمكن إرجاع هذا التناقض في الخطاب إلى الحيز الضيق الذي يفرضه الواقع أمام الراوي الذي اختار العمل في المجال العام، فيهيمن الخطاب الحزبي على تفكيره بوعي أو بدونه ليتخذ الراوي موقعاً دفاعياً شمولياً عن الحزب أو النهج السياسي، وتضيق روايته الخاصة عن فلسطين أو تتسع حسبما تضيق أو تتسع الحدود المفروضة في الرواية الحزبية. حيث تبدو أجزاء من بعض الروايات كأنها صنيعة الخطاب الرسمي المهيمن أو السائد اليوم الذي يعطي أولوية لبناء الدولة "المسموح بها" على حل مشكلة اللجوء والتخلص من اضطهاد المستعمر المستمر منذ 62 عاماً. وقد يكون هذا بتأثير موقع الرواة الاجتماعي والثقافي الذي يعطيهم رأس مال رمزي يضعهم في مصاف (النخبة)، ومع أن الرواة هنا، هم لاجئون من أبناء المخيم أساساً، إلا أنهم يصنفون أنفسهم في موقع العارف، على ما يبدو من

منطلق امتلاكهم "رأس مال رمزي"،[16] الأمر الذي باعتقادهم، يؤهلهم للحكم على الواقع اليوم واقتراح الخيار الأنسب للمصلحة العامة:

"أنا بعرف بالضبط وين هي المصلحة الوطنية الفلسطينية. المصلحة الوطنية الفلسطينية تكمن في إعادة اللُحمة للصف الفلسطيني. التنازل عن الشعارات الرنانة الصعبة التحقيق، والامتثال للواقع بما لا يتنافى مع الثوابت الفلسطينية. يعني مثلا أنا هذا البيت إلي، بيتي، يعني لا يمكن أطلع منه إلا وأنا ميت يعني مثلا واحد بيجي يستعمل البيت هذا ويوخذه مني. بقدر يوخذوه بس بعد إيش بعد ما أكون أنا ميت! ولكن ما دام حي مستحيل! هالقيت فش واحد عنده وعي وبقول هييييـــــــــــه ماتوا والبيت بتغّير، لا بتغّيرش بيتي، وراح أموت في الدفاع عنه. هذا ثابت من الثوابت. إذاً أي تضحية من أجل هذا الثابت لا تُعتبر مغامرة بالعكس تُعتبر تلبية للنداء الأيدولوجي لأنه إحنا بنقول إحنا مُأدلَجين أصحاب مبدأ. مبدأنا المحافظة على حدود فلسطين بأراضي ال67. بدنا إحنا نقيم عليها يعني بكفيش إحنا تنازلنا عن حدود ال48؟! .. ".[17]

يتشابه هذا المقتطف مع أجزاء من الرواية السياسية المهيمنة اليوم (*hegemonic Grand Narrative*). وهذا نموذج لتحول الخطاب المسيطر إلى حالة من الهيمنة، سواء كان بتأثير أيديولوجي حزبي ومستند على ماضٍ نضالي، أو بتأثير أيديولوجيا سياسية وفكرية ونضالية، فيموضع الرواة أنفسهم في مصاف النخبة المثقفة التي لها الحق في ممارسة نوع من الهيمنة، على الأقل من خلال تقديم رؤيتهم لمشروع الحل على أنه المشروع الوحيد الممكن، والذي يجب التوصل إلى إجماع (*consensus*) بمفهوم غرامشي لتنفيذه.

وبهذا تعمق اغتراب اللاجيء ليغرق في صراع بين المأمول والممكن تتجاذبه مشاعر العجز والإحباط والرفض والمقاومة للقيود التي تفرضها هذه المؤسسات على حياته. وليس غريباً أن تكون أعلى أصوات الرفض موجهة لقوى الداخل: قيادة وأحزاب، خاصة بعد التحول الذي طرأ على القيادة الفلسطينية من قيادة برجوازية صغيرة ترفع راية الثورة والكفاح المسلح تحت شعار التحرير وعودة

[16] باستعارة المصطلح من بيير بورديو، على اعتبار أن الرواة يتميزون لاعتبارات تتعلق بمستواهم التعليمي/ الثقافي و/أو المهني/ الاقتصادي بالإضافة إلى "التاريخ النضالي" لبعضهم. هذه الميزات من الممكن أن تمنحهم رأس مال رمزي يضعهم في مصاف النخبة كما ذكرت سابقاً. يعرّف جميل هلال النخبة اجرائياً "بما تملكه من تأثير على مسار، أو حركة، أو التغيير في واحد أو أكثر من الحقول التالية: الحقل السياسي، سواء كان هذا في مجال ممارسة السلطة أم في المعارضة السياسية (الأحزاب والحركات السياسية)، أم في مجال منظمات المجتمع المدني أم الأهلي (خارج الأحزاب أو الحركات السياسية)، أم في الحقل الاقتصادي-المالي (كبار رجال الأعمال وكبار أصحاب رؤوس الأموال والمستثمرين)، أم في الحقل الثقافي (كبار الأدباء والأكاديميين والباحثين والفنانين والصحفيين)، أم في الحقل الإعلامي أم على صعيد التأثير في الرأي العام (رؤساء تحرير الصحف، والمشرفين على الإذاعات والتلفزيونات الخاصة) .... (هلال 2002، 10-12). وبالنسبة لرواة النمط الواقعي السياسي الذي اقتطفت منه هذا المقطع، فهم كما شرحت يمتلكون واحد أو أكثر من هذه الصفات فهناك الأكاديمي والكاتب، والصحفي والسياسي، والسياسي العامل في مؤسسة سلطة تعنى بشؤون اللاجئين تحديداً.

[17] مقتطف من رواية أجريتها مع شاب قابلته في قلنديا في شهر تشرين الثاني 2008. وقد تكررت هذه الفكرة في روايات لاجئين آخرين في مخيم اليرموك وقلنديا.

اللاجئين إلى مؤسسات بيروقراطية وجودها مرهون بخدمتها لمشروع التسوية السياسية في ظل استمرار الشرط الاستعماري بإجراءاته القمعية المتصاعدة وتغييب أية استراتيجيات لمواجهة هذه الإجراءات. هذه الحالة القلقة هي التي تضع اللاجىء في حالة البحث عن طرق لتجاوز اغترابه، بالبحث عن مقومات الاستمرار، البقاء وإبقاء قضيته حية. وشأن مختلف المجتمعات في عصر العولمة، يتأثر الفلسطيني بأفكار وآراء متنوعة تأتيه من الفضائيات وشبكة الانترنت، لتنمي قدرته على النقد بما يقلل من فرص قدرة المؤسسات المذكورة على الهيمنة، وبالتالي تصبح هي نفسها، سواء كانت الحزب أو السلطة الحاكمة محط نقد. والعامل الآخر الذي يظهر تأثيره في معظم روايات اللاجئين هو التجربة الحياتية وتأثير الأحداث والمتغيرات السياسية اليومية على الرواية. لذا تنتج الرواية عن الصراع بين هذه العوامل المختلفة في ذهن اللاجىء.

4. خاتمة: صورة فلسطين 2008

إذا حاولت استخلاص الملامح العامة المشكلة لصورة فلسطين في روايات اللاجئين التي جمعتها هذه الدراسة، يبدو واضحاً أن الرفض والغضب سمتان تصبغان معظم الروايات وإن اختلفت شدة الرفض وحدة الغضب بين الأنماط المختلفة. الرواية هي رواية للاغتراب الفلسطيني، اغتراب مادي عن الأرض، واستلاب انساني، وضياع، وتشتت. والصوت الغالب هو الصوت النقدي الموجه في الغالب للسياسة الفلسطينية بممثليها قيادة وأحزاب أكثر مما هو موجه للاستعمار الكولونيالي وأدواته. فالتفكير النقدي هنا موجه للواقع الحاضر الرديء والذي لا يعد بامكانية للتغيير الايجابي في المستقبل بما يضع حداً لحالة الاقتلاع التي ألمت بهؤلاء اللاجئين في الماضي.

إن الصورة التي يقدمها اللاجئون اليوم لفلسطين بجانبها النقدي قد لا تبدو تاريخاً بالمنظور الرسمي النخبوي للتاريخ لكنها تعبر عن الضمير التاريخي للشعب الذي عايش اللحظات التاريخية ولا يزال يعيش نتائجها ويحق له اليوم المساهمة في صنع اللحظة التاريخية القادمة وليس فقط في كتابتها. ينطلق الرواة الذين رسموا الروايات الأكثر نقدية في تشكيل صورة فلسطين من واقع فلسطين اليوم والذي يجمعون على وصفه بالسيء، وبالقاء نظرة شمولية على الصور المتشكلة يمكن وسم الصور التي تشكلها الروايات الشعبية بأنها صورة نقدية تُشَرِّح الوضع الماضي والحالي بمعايير تختلف باختلاف دور الراوي/ة ومشاركته في الأحداث التي تشكل روايته ودرجة وعيه السياسي؛ في بعض الروايات، يبدو النقد أقرب إلى التذمر والشكوى التي تعكس مشاعر اليأس والحزن المسيطرة على الراوي كما في روايات النمط المحبط، بينما يرتفع صوت النقد ليتحول إلى قراءة تحليلية لأحداث أو شخصيات معينة أو للوضع ككل لتبدو أقرب إلى مراجعة نقدية للمسيرة الفلسطينية بأبعادها التاريخي والسياسي والاجتماعي، وتبرز أعلى الأصوات الناقدة ضمن فئة الأشخاص النشيطين في الحياة السياسية العامة وبخاصة أولئك الذين شاركوا في العمل السياسي والعسكري والاجتماعي، ويتوزع هؤلاء الأشخاص على أكثر من نمط:

"في الأول كانت القضية أهم من المصاري، مثلاً لما كان يصير منع تجول، لما انقتل أبو جهاد وأبو إياد ويصير منع تجول بالثلاثة أشهر وما يقدروا يطلعوا الناس، ما كان حدا يجوع. أنا بيتي قريب كنا نيجي ونوزع الخبز على الدور ولما توصلي دار نقول تعالي يا أم فلان تقول: والله أنا عجنت ومش محتاجة أما جارتي هديك والله ماعندها طحين. كانت الناس تحترم بعض وتعين بعض .. اليوم الأرض عم تسحل، والقدس خلصت ونحنا متمسكين، بدنا القدس القدس القدس، طب ما هي القدس صرلها 40 سنة بتسحل، طب ما هو اللي كانوا ساكنين في القدس أعطوا الدور لليهود وطلعوا، أخدوا الفلوس وبنوا خارج البلد، وين كنتوا انتم؟ وين كانوا؟ وايش أحافظ على ايش أنا كفرد؟ حافظت، والجدار أخذ كل الأراضي؟ طب من بنى الجدار؟ من جاب اسمنت الجدار؟ احنا؟ من؟ هم؟ وين كان كله هذا؟ طب ما هو هلا احنا اللي عمالنا بنحكي، بنحكي على قديش؟ بنحكي على 25%، شو النا؟ وين ضل؟ أنت لما بدك تروحي ع بيت لحم، بتروحي على الالتفافي هذا، بتبقي معلقة فوق، بتقولي هلا أنا بهوى تحت الأرض، ايش ما حطولنا بنقبل، حطولنا الحواجز قبلنا، حطولنا الجدار قبلنا، قامولنا الشوارع الالتفافية قبلنا. ايش احنا عاملين؟ قولي لي؟ ايش عاملين؟ ونحافظ على ايش؟ كل الشباب هلا عم بتهاجر، وينها؟ ايش بتشتغل؟ ولا اشي، عم بيعملوا كرتونات، مؤسسات مثل الكرتونة ما فش الها جذور، تدش عليهم الأموال، ايش فكرك يعني؟"[18]

يتركز الصوت النقدي بالدرجة الأولى حول العوامل الذاتية: الحركة الوطنية الفلسطينية، أوسلو، وممارسات السلطة الفلسطينية. ويمكن ايعاز هذا، اعتماداً على الروايات، إلى الوضع الرديء السائد وقت اجراء المقابلات بسبب المشاكل الداخلية بين فتح وحماس وسيادة حالة من الضياع والأنومي_اللامعيارية[19] وانعدام الرؤية الواضحة المبنية على مشروع يسير نحو انهاء حالة الاقتلاع المستمرة منذ اثنين وستين عاماً وما يرافقها من ظلم واضطهاد، وتختلف رؤية اللاجئين للمخرج من هذه الحالة باختلاف أصولهم السياسية والفكرية كما اتضح من الأنماط المختلفة.[20] بالنتيجة لا يمكن تحديد عامل واحد يشكل صورة فلسطين لدى اللاجئين في المكانين، فهي لا تتشكل بالحنين والتوق إلى الوطن الضائع فقط؛ ولا بالتوق إلى الاحساس بالأمان والحصول على حقوق المواطنة كما استنتجت بيتيت في بحثها في المخيمات اللبنانية (Peteet 1995, 215)؛ ولا بالتوق إلى استعادة مقومات الهوية التي فقدوها والتخلص من وصمة لاجيء (Chatty and Hundt 2005) لهذا ليس من الغريب أن يوجه اللاجئون نقدهم إلى اتفاقية أوسلو والسياسات التي تبعتها كونها كرست حالة اللامعيارية إضافة إلى أنها لم تأخذ القضية الأساسية، قضية اللاجئين، بعين الاعتبار.

[18] مقتطف من رواية لسيدة التقيتها في مخيم قلنديا في شهر تشرين الأول أكتوبر 2008.

[19] بحد تعبير إميل دوركهايم، وقد وضحت في فصول الرسالة، ومن خلال استعراضي لروايات اللاجئين، هذه المقاربة بين مفهوم دركهايم للأنومي وحالة الضياع التي يشعر بها الفلسطينيون اليوم في أماكن تواجدهم المختلفة بما يرتبط بالتخبط وانقلاب المعايير في المسيرة الوطنية الفلسطينية.

20 يرتفع منسوب النقد بين الرواة الأكثر اهتماماً بالسياسة ليتحول الجزء الأكبر من الرواية إلى قراءة نقدية في الواقع الفلسطيني على امتداد مراحله.

هناك صور أخرى للحفاظ على الذاكرة لم تتناولها روايات اللاجئين الذين قابلتهم، لكني لاحظتها في زياراتي لمقابر من غيبهم الموت في مقابر المخيمات. في كل مرة كنت أدخل فيها إلى المقبرة، كان ينتابني نفس الشعور: الهدوء والترتيب المتناقض مع ضوضاء وفوضى المحيط. لكن سرعان ما كنت أكتشف أن المقبرة التي تسمى مقبرة الشهداء تحكي جزءاً من الحكاية: شواهد القبور للاجئين من الأجيال الثلاثة استشهدوا أو ماتوا ميتة ربهم كلها منقوشة باسم البلد أو القرية الأصل في فلسطين لترسم خارطة فلسطين الطبيعية والتي يمكن قراءتها كتعبير جمعي لرفض النسيان. وهنا أستذكر قراءة فيصل دراج لنظرية فالتر بينيامين في التاريخ: "إذا كان في استذكار الماضي المغلوب ما يثير الأسى، فإن في وحدة الأحياء والأموات ما يثير الأمل" (دراج 2006، 161).

5. قائمة المراجع العربية

ألتوسير، لويس. 1981. "الأيديولوجيا وأجهزة الدولة الأيديولوجية: ملاحظات تمهيدية لدراسة." في *دراسات لا إنسانوية*، 67 ــ 119. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

أندرسن، بندكت. 1999. *الجماعات المتخيلة*. ترجمة محمد الشرقاوي. مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

بابه، إيلان. 2007. *التطهير العرقي في فلسطين*. ترجمة أحمد خليفة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

جرار، ناجح. 1994. *اللاجئون الفلسطينيون: مدخل للمراجعة واستقراء للمستقبل*. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية PASSIA.

دراج، فيصل. 1996. *بؤس الثقافة في المؤسسة الفلسطينية*. بيروت: دار الآداب.

دراج، فيصل. 2006. "فالتر بينيامين ولاهوت التاريخ." *الكرمل*، عدد 86: 155-171.

سرحان، باسم. 2005. *تحولات الأسرة الفلسطينية في الشتات: دراسة سوسيولوجية مقارنة*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

سعيد، ادوارد. 2002. "التلفيق، الذاكرة والمكان." ترجمة رشا عبد القادر. *الكرمل*، عدد 70-71: 92-108.

سكوت، جيمس. 1995. *المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم*. ترجمة ابراهيم العريس ومخايل خوري. بيروت: دار الساقي.

الصباغ، زهير. 2005. "التطهير العرقي الصهيوني في فترة ما قبل حرب 1948." *التراث والمجتمع*، عدد 41: 7 – 30.

علان، ربيحة. 2007. *من القرية إلى المخيم: دور المرأة الفلسطينية الريفية اللاجئة في الحفاظ على العائلة 1948-1962*. البيرة: جمعية إنعاش الأسرة.

عمرو، تيسير. 2007. قرية بيت جبرين في الذاكرة الجماعية. رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت.

فانون، فرانز. 1972. *معذبو الأرض*. بيروت: دار القلم.

القلقيلي، عبد الفتاح. 2004. *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين*. رام الله: شمل.

كناعنة، شريف. 2000. *الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير؟*. رام الله: شمل.

موعد، حمد. 2002. *مخيم اليرموك: مقاربة في سوسيولوجيا المخيم الفلسطيني*. دمشق: دار الشجرة.

ماركوز، هربرت. 2007. *الحب والحضارة*. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

ميعاري، لينا. 2005. أدوار النساء الفلسطينيات الريفيات ببعديها الاقتصادي والثقافي بين الأعوام 1930-1960: قرية البروة نموذجاً. رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت.

هلال، جميل. 2002. *تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما بعد قيام السلطة الوطنية*. رام الله: مواطن.

يحيى، عادل. 2006. *قصة مخيم: الجلزون*. البيرة: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

يحيى، عادل. 2008. *قصة مخيمين: العروب والعين*. البيرة: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

6. قائمة المراجع الإنكليزية

Anderson, Benedict. 1991. *Imagined Communities*. London: Verso.

Andrews, Molly. 2004. *The Uses of narrative: explorations in sociology, psychology, and cultural studies*. New Brunswick: Transaction Publishers.

Badil. 2003. *Survey of Palestinian Refugees and Internally Displaced Persons 2002*. Bethlehem: Badil.

Barseghyan, Kristine. 2004. The “other” in Post-Communist Discourse on National Identity in Armenia. A paper presented in the conference on Nationalism, Society and Culture in Post-Ottoman South East Europe, May 29-30, held at St Antony’s College in Oxford.

Charmaz, Kathy. 2006. *Constructing Grounded Theory: A Practical Guide Through Qualitative Analysis*. London: SAGE Publications.

Chatty, Dawn, and Gillian Lewando Hundt, editors. 2005. *Children of Palestine: Experiencing Forced Migration in the Middle East*. Oxford: Berghahn Books.

Gieryn, Thomas. 2000. "A Space for Place in Sociology." *Annual Reviews*. Vol. 26: 463-496.

Glaser, B. G, and A. L. Strauss. 1967. *The discovery of grounded theory: strategies for qualitative research*. London: Aldine Transaction.

Halbwachs, Maurice. 1992. *On Collective Memory*. Chicago: The University of Chicago Press.

Hobsbawm, Eric. 1983. *The Invention of Tradition*. Cambridge: Cambridge University Press.

Katz, E. 1968. "Hypothesis or Presuppositions." In *The Craft of Sociology: Epistemological Preliminaries,*ed. Pierre Bourdieu and Jean-Claude Chamboredon and Jean-Claude Passerson, 160 – 166. Berlin and New York: Walter de Gruyter.

Malkki, Liisa. 1992. "National Geographic: The Rooting of Peoples and the Territorialization of National Identity among Scholars and Refugees." *Cultural Anthropology*, Vol. 7, No. 1: 24-44.

Misztal, Barbara. 2003. "Durkheim on Collective Memory." *Journal of Classical Sociology*, Vol. 3, No. 2: 123-143.

Nora, Pierre. 1989. "Between Memory and History: Les Lieux de Mémoire." *Representations*, No. 26: 7-24.

Olick, Jeffrey and Joyce Robbins. 1998. "Social Memory Studies: From 'Collective Memory' to the Historical Sociology of Mnemonic Practices." *Annual Review of Sociology*, Vol. 24: 105-140.

Peteet, Julie Marie. 2005. *Landscape of hope and despair: Palestinian refugee camps*. Philadelphia, Pa.: University of Pennsylvania Press.

Schwartz, Barry. 1996. "Memory as a Cultural System: Abraham Lincoln in World War II." *American Sociological Review*, Vol. 61, No. 5: 908-927.

Schwartz, Barry. 1997. "Collective Memory and History: How Abraham Lincoln Became a Symbol of Racial Equality." *The Sociological Quarterly*, Vol. 38, No. 3: 469-496.

Schwartz, Barry. 1998. "Postmodernity and Historical Reputation: Abraham Lincoln in Late Twentieth-Century American Memory." *Social Forces*, Vol. 77, No. 1: 63-103.

Ragin, Charles C. 1987. *The Comparative Method: Moving Beyond Qualitative and Quantitative Strategies*. Berkeley: University of California Press.

Sayigh, Rosemary. 1979. *Palestinians: From Peasants to Revolutionaries*. London: Zed press.

Sayigh, Rosemary . 1998. "Palestinian Camp Women as Tellers of History." *Journal of Palestine Studies*. Vol. 27, No. 2, (Winter): 42-58.

Sallach, David. 1974. "Class Domination and Ideological Hegemony." *The Sociological Quarterly*, Vol. 15, No. 1: 38-50.

Strauss, Anselm and Juliet Corbin. 1998. *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory*. California: SAGE Publications.